Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السادس عشر – آذار – 2026 / March

جزيرة ابن عمر في العصر الأيوبي (دراسة في سياستها الخارجية)

م. م سرى سلام عطيه
جامعة الفرات الأوسط التقنية - العراق

sir.attiackm@atu.edu.iq

الملخص. يتناول هذا البحث دراسة جزيرة ابن عمر خلال العصر الأيوبي باعتبارها من المدن الإسلامية ذات المكانة البارزة في شمال منطقة الجزيرة الفراتية، وقد برزت أهميتها من خلال موقعها الجغرافي الاستراتيجي على نهر دجلة وأدوارها السياسية والعسكرية ضمن صراعات البيت الزنكي من جهة، والعلاقات المتشابكة مع الدولة الأيوبية من جهة أخرى، كما يتناول البحث السياسة الخارجية للجزيرة عبر دراسة مسار علاقاتها مع القوى الإقليمية خلال تلك المرحلة عبر تتبع علاقاتها مع القوى الإقليمية الكبرى، ولا سيما الموصل والأيوبيين والخلافة العباسية منذ نشأتها وحتى نهاية حكم الأتابكية فيها. وتعتمد الدراسة على عدد من المصادر التاريخية الرئيسة مثل ابن الأثير وابن شداد وابن خلدون، إضافة إلى ما قدمه الجغرافيون المسلمون من معلومات وصفية مهمة.

الكلمات المفتاحية: جزيرة ابن عمر، الأيوبي، سنجر شاه، الموصل، ديار بكر.

Abstract. This research deals with the study of Jazirat Ibn ʿUmar during the Ayyubid period, considering it one of the Islamic cities of prominent status in the northern part of the Jazira region. Its importance emerged through its strategic geographical location on the Tigris River and its political and military roles within the conflicts of the Zangid dynasty on the one hand, and the intertwined relations with the Ayyubid state on the other. The research also addresses the foreign policy of the Jazira by studying the course of its relations with

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

regional powers during that period, through tracing its relations with the major regional powers, especially Mosul, the Ayyubids, and the Abbasid Caliphate, from its establishment until the end of Atabeg rule there. The study relies on a number of main historical sources such as Ibn al-Athir, Ibn Shaddad, and Ibn Khaldun, in addition to the important descriptive information provided by Muslim geographers.

Keywords: Jazirat Ibn ʿUmar, Ayyubid, Sanjar Shah, Mosul, Diyar Bakr.

المقدمة

تعد جزيرة ابن عمر إحدى المدن الإسلامية التي حظيت بمكانة بارزة في شمال الجزيرة الفراتية خلال العصور الوسطى، وقد شكل موقعها الجغرافي المتميز عند أقصى امتداد لنهر دجلة عاملًا رئيسًا في نموها الحضري وازدهار مقوماتها الاقتصادية، كما جعلها هذا الموقع محورًا للتنافس بين القوى السياسية المحيطة، وفي مقدمتها الموصل وديار بكر والخلافة العباسية، إلى جانب الدولة الأيوبية التي مثّلت قوة إقليمية صاعدة في المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن السادس الهجري.

وعلى الرغم من أن نشأة المدينة المدينة تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فإنّ جذور الاستيطان في موضعها تمتد إلى عصور أقدم، الأمر الذي منحها عمقًا حضاريًا وتاريخيًا انعكس في تنوع سكانها وتعدّد وظائفها، وقد تباينت الروايات التاريخية في تحديد بدايات عمرانها وتسميتها، كما اختلفت آراء الجغرافيين والبلدانيين حول ذلك.

وبفعل هذه الخصوصية الجغرافية والسياسية كان لجزيرة ابن عمر دور فاعل في خارطة العلاقات الإقليمية، لا سيما بعد تأسيس الأتابكية الصغيرة فيها بقيادة معز الدين سنجر شاه الذي استطاع أن يجعلها طرفًا حاضرًا في التوازنات السياسية، و مع تعاقب الدول والإمارات في ديار بكر والموصل انتقلت جزيرة ابن عمر بين سلطات متعددة بدءًا من المروانيين ثم السلاجقة وصولًا إلى الزنكيين، قبل أن تدخل مرحلة جديدة في العصر الأيوبي اتّسمت بتشابك العلاقات السياسية والتحالفات العسكرية.

وانطلاقًا من ذلك يهدف هذا البحث إلى دراسة جزيرة ابن عمر دراسة تاريخية تحليلية، من خلال الوقوف على مقوماتها الجغرافية وتطورها العمراني، وبيان وضعها الإداري والسياسي قبيل العصر الأيوبي، ثم تحليل سياستها الخارجية في ظل الأتابكية وعلاقاتها بالقوى المحيطة، ولا سيما الدولة الأيوبية والخلافة العباسية وأمراء الموصل، ويسعى البحث إلى تقديم قراءة علمية تعتمد على المصادر

التاريخية والبلدانية بما يسهم في إبراز أهمية هذه الحاضرة ودورها في رسم ملامح التوازنات السياسية في شمال الجزيرة الفراتية خلال العصور الوسطى.

1 .المبحث الأول:

1.1. جغرافية جزيرة ابن عمر

تظهر جزيرة ابن عمر في المصادر التاريخية كإحدى المدن الإسلامية التي برزت في سياق التطور العمراني والسياسي لمنطقة الجزيرة الفراتية خلال العصور الوسطى، فهي مدينة إسلامية نشأت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتميزت بموقعها الجغرافي الفريد على الضفة الشرقية لنهر دجلة في أقصى الشمال ضمن نطاق ديار ربيعة، وبرغم هذه الأهمية فإن المعلومات المتعلقة بتاريخها وموقعها لا تزال شحيحة ومتناقضة، وهو ما جعلها تمثل موضع جدل بين الباحثين قديمًا وحديثًا (ياقوت الحموي، 1995م، 138/2؛ البكري، 1983م، 381/2).

اتفقت أغلب الروايات التاريخية وما أورده الجغرافيون والرحالة على أن جزيرة ابن عمر تأسست قرابة سنة (200هـ/815 م) وذلك في عهد الخليفتين الأمين والمأمون (ياقوت الحموي، 1995م، 138/2؛ ابن خلكان، 1994م، 257/4)، غير أن بعض المصادر تذهب إلى أن العناية بهذا الموضع بدأت في وقتٍ أسبق، تحديدًا في أيام الخليفة هارون الرشيد، إذ يُذكر أنّه أقام فيها قصرًا سنة (174هـ/790م)، ويحتمل أن هذا القصر كان اللبنة الأولى التي مهّدت لقيام المدينة في ما بعد (ابن الأثير، 1997م، 287/5).

يتّضح من خلال ما أورده الجغرافيون والبلدانيون المسلمون أن جزيرة ابن عمر احتلت موقعًا بارزًا في الذاكرة الجغرافية الإسلامية منذ وقت مبكر، إذ تظهر رواياتهم المتعاقبة أن صورتها تطورت تدريجيًا من موضع صغير إلى مدينة ذات مكانة معتبرة، ففي أواخر القرن الرابع الهجري قدم المقدسي (ت. 390هـ/1000م) تصويرًا معمقا لطبيعتها العمرانية فوصفها بأنها "مدينة عظيمة يحيط بها الماء من ثلاث جهات"، و تقع شرق نهر دجلة شُيدت بالحجارة وهو وصف يبين بلوغها درجة من الاتساع والاستقرار جعلتها من المراكز الحضرية المهمة في شمال بلاد الجزيرة(المقدسي، 1991م، 49/1).

وفي مرحلة أسبق أشار ابن حوقل (ت. 367هـ/978م) إلى خصوبة أراضيها وكثرة ضياعها، وهو ما يدل على أنّ العامل الاقتصادي كان من أبرز مقوّمات ازدهارها، وأنّ موقعها الجغرافي منحها قدرة على دعم النشاط الزراعي والتجاري في نطاق الموصل وما حولها (ابن حوقل، 1992م، ص202).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أما أقدم من ذكرها من الجغرافيين فهو ابن خرداذبه (ت. 280هـ/893 م) الذي بين أنّها كانت قصبة لبلاد قَرْدى وبرازيج الواقعتين شمال أعمال الموصل، على مقربة من جبل الجودي حيث يُنسب إليه موضع استقرار سفينة نوح عليه السلام (ابن خردذابة، 1889م، ص345).

وهكذا، فإن الروايات الجغرافية المتتابعة من القرن الثالث حتى الرابع الهجري تُبرز ملامح التحول في شأن جزيرة ابن عمر من موضع تابعٍ إداريًا إلى حاضرة مزدهرة ذات أهمية إستراتيجية واقتصادية في شمال الموصل.

1.2. أصل التسمية وتطور الاستيطان

اختلفت الآراء حول تحديد أصل تسمية جزيرة ابن عمر ولكن معظم المؤرخين والبلدانيين اجمع على أنّها نُسبت إلى رجلٍ كان له دور بارز في بناء المدينة أو تأسيسها، إذ وردت في المصادر أسماء متعددة لأشخاص نسبت إليهم.

ويرى ياقوت الحموي أن أول من عمّرها هو الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي مشيرًا إلى أن له زوجة كانت من أهل الجزيرة، مما يرجح أن الموضع كان مأهولًا من قبل والمدينة قائمة ثم جدّد الحسن عمارتها (ياقوت الحموي، 1995م، 138/2).

في المقابل يرى ابن شداد أن الموضع كان يُعرف سابقاً قبل تعميره باسم (جزيرة الأكراد) وأن الحسن التغلبي هو الذي اختطّها لاحقًا (ابن شداد، 1978م، 148/1)، بينما ذكرت مصادر أخرى منها ابن خلكان وابن كثير أن الاسم مرتبط بـ (يوسف بن عمر الثقفي) والي الدولة الأموية في العراق (ابن خلكان، 1994م، 394/3؛ ابن كثير، 1998م، 139/13).

وتشير بعض الروايات القديمة إلى أن منطقة جزيرة ابن عمر كانت تعد مهداً للبشرية بعد الطوفان، إذ يُعتقد أن سفينة نوح عليه السلام استقرت في الجبل المجاور المعروف بـ (جبل الجودي) وأن الموضع شهد أول عمران بشري بعد الطوفان (اليعقوبي، 2010م، 15/1).

ومن الناحية السكانية فقد استوطنت الجزيرة منذ أزمان بعيدة جماعات مختلفة، بفعل موقعها المميز ضمن الجزيرة الفراتية وما تملكه من أراضٍ خصبة وموارد اقتصادية غنية، وتشير بعض الروايات إلى أن موجات بشرية عديدة وفدت إليها من شبه الجزيرة العربية فضلاً عن أقوام قديمة كـ (الآشوريين والكلدان) الذين ربما استقر بعضهم في ربوعها (ابن حوقل، 1992م، ص202؛ حتي، 1958م، ص155).

ومن القبائل العربية الرحل التي نزلت جزيرة ابن عمر قبل الإسلام بنو تغلب الذين انتشروا في أرجاء الجزيرة الفراتية، وظلوا فيها حتى الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حين دخلت المدينة في سلطة المسلمين سنة (17هـ/639م) على يد القائد عياض بن غنم وقد خضع أهلها للجزية، باستثناء بني تغلب الذين رفضوا أداءها وفضلوا الانتقال إلى ديار الروم (البلاذري، 1987م، 208؛ الطبري، 1970م، 55/4).

كما عُرفت المنطقة أيضًا بسكن بني ربيعة وبني عُقيل من القبائل العربية، إلى جانب الأكراد الذين استوطنوا منذ القدم منطقة بوطان الواقعة ضمن حدود الجزيرة (كحالة، 1997م، 760/2).

وتشير المصادر إلى أن الموضع كان يُعرف باسم جزيرة الأكراد قبل أن يعيد الحسن بن عمر التغلبي اختطاطها، وقد استمر تداول هذا الاسم (جزيرة الأكراد) في العصر الحمداني، إذ مثلوا غالبية سكانها في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (ابن شداد، 1978م، 213/3)، وفي تلك المرحلة كانت الجزيرة تتبع إداريًا لمدينة الموصل، وتضم عددًا من القلاع المهمة مثل (الزعفران، وفرح) وغيرها، وقد ظلت هذه القلاع ضمن نطاقها الإداري حتى قيام الدولة الأتابكية في الموصل (ابن الأثير، 1997م، 280/12؛ الحموي، 1995م، 146/3).

1.3. الوضع الإداري والسياسي قبل العصر الأيوبي

قبيل قيام الدولة الأيوبية مرّت جزيرة ابن عمر بمرحلة من التحوّلات السياسية التي عكست اشتداد التنافس على مناطق ديار بكر والموصل، ففي أوائل القرن الخامس الهجري كانت الجزيرة تابعة للدولة المروانية احد الأمارات الكردية و التي جعلت من ميّافارقين مركزًا لحكمها، وبقيت ضمن حدودها الإدارية إلى أن تفاقمت الخلافات بين أمراء المروانيين والسلاجقة، وقد مهد هذا النزاع لدخول السلاجقة المنطقة عسكريًا الأمر الذي أسفر عن سقوط الجزيرة في قبضتهم سنة (478هـ/1094م)، لتصبح جزءًا من نطاق نفوذهم في شمال الجزيرة الفراتية (ابن الأثير، 1997م، 144/10؛ التكريتي، 1970م، ص107).

ولم تكن السيطرة السلجوقية مستقرة بصورة دائمة، إذ كانت ترتخي وتشتد تبعاً لقوة السلطان في بغداد وفاعلية ولاته على الموصل والجزيرة (ابن الأثير، 1997م، 144/10)، فخلال الفترات التي كان فيها الوجود السلجوقي قويًا كانت الجزيرة تدار من قبل وكلاء السلطان أو أمرائه، بينما كانت تنزع نحو الاستقلال أو الاضطراب في الفترات التي ضعف فيها مركز السلاجقة السياسي (ابن الأثير، 1997م، 383/10، 343).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومع مطلع القرن السادس الهجري برزت مرحلة جديدة اتسمت بتغير موازين القوى إذ امتدّت الفترة ما بين (521–576هـ/1127–1180م) لتشهد تأسيس الكيان الزنكي في الموصل على يد عماد الدين زنكي (ابن الأثير، 1963م، 645/10)، الأمر الذي أحدث انقساماً سياسياً داخل ديار الموصل نفسها فانشطرت إلى أتَبكيات فرعية كان من بينها "أتَبَكية الجزيرة" التي أنشأها معزّ الدين سنجر شاه سنة(576هـ/1180م)، وظلت مرتبطة إدارياً بموصل الزنكيين و تدار بواسطة نواب يعينهم أتابكة الموصل (ابن الأثير، 1963م، ص79؛ أبو الفداء، 1998م، 208/2).

وبعد مقتل عماد الدين زنكي سنة (541هـ/1146م) ظهرت أطماع عدد من الأمراء في انتزاع بعض مناطق ديار بكر والجزيرة التي كانت تتبع الموصل، فبرز الأمير عز الدين أبو بكر الدبيسي، أحد كبار قادة أبيه عماد الدين الذي كان ذا دهاء سياسي مكّنه من الاستيلاء على جزيرة ابن عمر، وقد حكمها حكماً شبه مستقل متجاوزاً سلطة أتابكة الموصل، واستمر نفوذه فيها إلى حين وفاته سنة (552هـ/1157م)، (ابن الأثير، 1963م، ص112، 77؛ ابن كثير، 1998م، 212/12).

وتكشف محاولة الأمير الزنكي قطب الدين مودود الذي تسلم حكم الموصل بعد وفاة الدبيسي سنة (544هـ –565هـ/1149م –1169م) فشله في استعادة تبعية الجزيرة الى الموصل عن مدى ترسّخ استقلال الدبيسي، رغم حصاره للمدينة ثلاثة أيام إذ واجه مقاومة شديدة من أحد المماليك العسكريين ويدعى غلبك، الذي حال دون دخول قوات الموصل إليها ويكشف هذا الحدث عن مدى التحول السياسي في الجزيرة قبيل العصر الأيوبي (ابن الأثير، 1963م، ص112؛ ابن شداد، 1978م، 223/3)، وعن تعدد القوى المحلية المتنافسة عليها فنجد إن تسلسل الأحداث أصبح كالتالي في:

القرن الثالث والرابع الهجري كانت مدينة تتبع إداريًا للموصل ولها سلطة جباية واستقرار إداري واسع، وفي القرن الخامس الهجري أصبحت منطقة تنازع بين الحمدانيين والسلاجقة والولاة العباسيين وبقيت تبعيتها الرسمية للموصل رغم انتقال النفوذ العسكري، أما في أوائل القرن السادس الهجري أُدخلت في نظام الإقطاعيات السلجوقية وظلّت مرتبطة إداريًا بالموصل، حتى ظهور الزنكيين الذين ورثوا هذه البنية الإدارية مع استقرارها كمدينة مزدهرة وذات أهمية اقتصادية وعسكرية.

2. المبحث الثاني

2.1. سياستها الخارجية

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مع وفاة أتابك الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي سنة (576هـ/1180م)، ظهرت الخلافات السياسية داخل البيت الزنكي، فقد أراد الأتابك سيف الدين تمكين ابنه معز الدين سنجر شاه من الحكم، غير أن صغر سنه اذ انه لم يتجاوز الثانية عشرة إضافةً إلى حساسية الموقف تجاه قوة صلاح الدين الأيوبي في الشام، ومعارضة أخيه عز الدين مسعود لترشيح ابن أخيه، دفعته إلى العدول عن رأيه وبمشورة كبار أمراء الموصل عهد بالسلطة إلى أخيه عز الدين مسعود، فيما منح سنجر شاه جزيرة ابن عمر وما يتبعها من قلاع وإقطاعات (ابن الأثير، 1997م، 463/12؛ ابن كثير، 1998م، 306/12).

وبرغم أن سنجر شاه عُدَ مؤسساً لأتابكية الجزيرة منذ سنة (576هـ/1180م) إلا أنها لم تكن ذات استقلال فعلي في شؤون الحكم و بقيت في سنواتها الأولى خاضعةً للوصاية الإدارية التي يمارسها مجاهد الدين قايماز من الموصل، وما إن بلغ سنجر شاه مرحلة الشباب حتى بدأ يتحرر من سلطة عمه، فامتنع عن تنفيذ أوامره وسعى إلى إدارة شؤون الجزيرة بصورة مستقلة مما ولّد توتراً متصاعداً بين الجانبين (ابن الأثير، 1963م، 184؛ ابن خلدون، 1992م، 450/5، 106).

وقد ازداد هذا التوتر بين الطرفين بعد سنة (579هـ/1183م) حين اعُتقل مجاهد الدين قايماز الذي كانت تربطه بسنجر شاه صلة وثيقة وعد سنجر شاه هذا الفعل استهدافاً لنفوذه وانضم إلى صلاح الدين الأيوبي في نزاعه مع صاحب الموصل، الأمر الذي دفع عزّ الدين مسعود إلى الاستنجاد بالخليفة العباسي الناصر لدين الله، ورغم أن الخليفة أرسل وفداً للوساطة لكن المفاوضات لم تنجح، ولاسيما بعد رفض عز الدين منح أمير أربل وجزيرة ابن عمر حرية اختيار التبعية لما في ذلك من إضعاف لسلطانه (ابن شداد، 1964م، 65؛ خوشناو، 2019م، ص58).

وأصبحت الجزيرة سنة (581هـ/1186م) جزءاً من الصراع الواسع بين الزنكيين والأيوبيين، إذ التحق جيش سنجر شاه بصفوف صلاح الدين فتدهورت علاقته بالموصل، وانتهى الأمر بحصار الموصل أربعة أشهر بإيعاز من صلاح الدين، بسبب مغادرة سنجر شاه معسكره دون إذنه (ابن الأثير، 1997م، 62/12)، ومع أن الحصار لم يسفر عن نتيجة حاسمة فقد أُنتهى بتسوية قضت بأن تُقسم أعمال الجزيرة بين الطرفين، غير أن هذا الاتفاق لم يستمر إذ لم يستجب سنجر شاه لطلبات عز الدين مسعود بعد وفاة صلاح الدين سنة (589هـ/1193م) (ابن الأثير، 1964م، 185،؛ ابن الفوطي، 1965م، 508/3).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومع موت عز الدين مسعود وتسلّم نور الدين أرسلان شاه حكم الموصل، اتجه سنجر شاه إلى تهدئة العلاقات لكنها بقيت متذبذبة بين التقارب والانقطاع حتى مقتله سنة (605هـ/1208م) بعد حكم دام ما يقرب من ثلاثة عقود (ابن الأثير، 1997م، 279/12؛ اليافعي، 1970م، 5/4).

وقد شكل مقتله فرصة للقوى الإقليمية إذ بادر الملك العادل الأيوبي إلى الاتفاق مع أرسلان شاه صاحب الموصل لتقاسم النفوذ في المنطقة، مستغلّين الاضطراب الذي أعقب مقتل سنجر شاه، وما إن تولى ابنه معز الدين محمود الحكم حتى حاول الملك العادل فرض صيغة للصلح تضمن له سنجار، غير أن صاحب الموصل سرعان ما تراجع عنها لأنها لا تخدم مصالحه، ومنذ ذلك الحين ظلّت العلاقة بين الموصل والجزيرة تراوح بين الصلح والعداوة حتى وفاة أرسلان شاه سنة (607هـ/1210م)، وقد عهد بالحكم لابنه القاهر عز الدين مسعود تحت وصاية مملوكه بدر الدين لؤلؤ (ابن الأثير، 1997م، 284/12؛ ابن كثير، 1998م، 61/13).

ومع صعود بدر الدين لؤلؤ إلى مركز السلطة الفعلية في الموصل حرص على إظهار قدر من التقارب مع أتابكية الجزيرة فأرسل الهدايا إلى الملك معز الدين محمود وهو من بقايا الأسرة الزنكية، خاصة بعد أن تسلّم بدر الدين الخِلع والتقليد من الخليفة المستنصر بالله (الرويشدي، 1971م، ص151)، وأصبح صاحب السلطان في الموصل بعد انقراض الحكم الأتابكي فيها سنة (631هـ/1233م)، ثم ازدادت الروابط بين الطرفين رسوخاً حين زوج ابن بدر الدين لؤلؤ من ابنة الملك المعظم فغدت بينهما صلة مصاهرة سياسية (ابن الفوطي، 1965م، ص51؛ خوشناو، 2019م، ص64–65).

غير أن هذا الاستقرار لم يدم فبعد وفاة المعظم معز الدين محمود سنة (648هـ/1250م) انتقل الحكم إلى ابنه الملك المسعود شاهنشاه وهو صهر بدر الدين لؤلؤ لكن خلافاً نشب بين الزوجين فاغتنم بدر الدين الفرصة كما استغل تذمر سكان الجزيرة من الضرائب الباهظة التي فرضها شاهنشاه (الجزري، 1988م، ص230؛ خوشناو، 2019م، ص65)، فقاد حملة سنة (649هـ/1251م) واستولى على الجزيرة واعتقل شاهنشاه كما ذكر أنه عمد إلى إغراقه في النهر للتخلص منه وإبعاد الشبهات عن نفسه، وبعد السيطرة سعى بدر الدين لؤلؤ إلى كسب السكان بإلغاء الضرائب، وظلت الجزيرة بيد ابنه سيف الدين إسحاق حتى سنة (659هـ/1260م) (ابن العبري، 1997م، ص228).

ارتبطت سياسة جزيرة ابن عمر الخارجية في العصر الأيوبي بدرجة كبيرة بطبيعة علاقاتها مع الدولة الأيوبية التي برزت منذ أواخر القرن السادس الهجري قوة مؤثرة في الساحة السياسية العامة، إذ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

شهدت جزيرة ابن عمر خلال عهد صلاح الدين الأيوبي مرحلة مهمة من الأحداث السياسية كان محورها الأمير معز الدين سنجر شاه الذي ربطته علاقة بصلاح الدين منذ سنة (578هـ/1182م)، أي بعد عامين فقط من ظهور الأتابكية الصغيرة في الجزيرة وقد جاء هذا التقارب في سياق اتساع قوة صلاح الدين وبلوغه مرحلة مكّنته من بسط نفوذه خارج مصر والشام، ولا سيما بعد تصاعد نشاطه في مواجهة الفرنج وسعيه لضم عدد من المدن الإسلامية إلى سلطانه، وفي هذا الإطار أدرك سنجر شاه أن الجزيرة أصبحت مشمولة ضمن اهتمام صلاح الدين لما تمثّله من أهمية في شبكة الطرق والنفوذ شمال الموصل (ابن الأثير، 1997م، 484/11، 499؛ ابن خلدون، 1992م، 259/5).

وزادت الأحداث توتّرًا حين قام صاحب الموصل سنة(579هـ/1183م) بالقبض على الوزير (مجاهد الدين قيماز) الذي كان من أبرز رجال سنجر شاه ومستشاريه، والمسؤول عن تدبير شؤون الجزيرة (ابن شداد، 1964م، ص65)، وقد أدى هذا الحدث إلى توتر العلاقة بين سنجر شاه وعمه عز الدين مسعود، ودفعه ذلك إلى الخروج عن طاعته والانضمام إلى صلاح الدين، ونتيجة لذلك طلب صاحب الموصل من الخليفة الناصر لدين الله التدخل لوقف هذا التقارب بين سنجر شاه وصلاح الدين، فأرسل الخليفة وفدًا للإصلاح لكن مساعيهم لم تنجح بسبب تمسك صلاح الدين برفض أي تدخل في شؤون الجزيرة وأربل اللتين أعلنتا ولاءهما له في ذلك العام (ابن الأثير، 1997م، 499/11؛ ابن خلدون، 1992م، 262/5).

ولم يكن ولاء سنجر شاه لصلاح الدين مجرد موقف سياسي بل تحول إلى مشاركة عسكرية مباشرة ففي سنة (581هـ/1175م) رافق جيشه حملة صلاح الدين على الموصل وقد أعجب صلاح الدين بموقفه هذا فكافأه بالهدايا والعطايا، وزاد من مكانته لديه بسبب خصومته مع صاحب الموصل (ابن الأثير، 1997م، 511/11؛ الأيوبي، 1968م، ص213، 225).

وتوطدت العلاقة أكثر حين استجاب سنجر شاه لدعوة صلاح الدين في حملته الكبرى ضد الفرنج فقدم إليه سنة (586هـ/1190م) أثناء حصار عكا، وأولاه صلاح الدين مكانة خاصة وقد شارك سنجر شاه مشاركة فاعلة في العمليات القتالية لكن طول مدة الحصار وتعب الجند أثقل كاهل قواته فطلب الإذن بالعودة (ابن شداد، 1964م، ص121–122)، وحين رفض صلاح الدين مغادرته بسبب حساسية الموقف أقدم سنجر شاه على الرحيل دون موافقة صريحة، فبعث إليه السلطان رسالة شديدة يذكره فيها بحقوق الصحبة وحسن الضيافة ويعاتبه على ما بدر منه أثناء مقامه معه، ومع ذلك استمر سنجر شاه في طريقه قبل أن يعلم بأن وفودًا من أهل الجزيرة وصلت إلى صلاح الدين تشكو ما لحق بهم من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بعض عماله، مما زاد من اضطراب موقفه وفي أثناء مسيره التقى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين وصاحب حماة، وتشير بعض الروايات إلى أنّه كان مأمورًا بإعادته إلى السلطان، وقد أعاده بالفعل فعفا عنه صلاح الدين وأذن له بالبقاء في كنف جيش تقي الدين حتى انقضاء فصل القتال (ابن الأثير، 1997م، 61/12؛ ابن شداد، 1964م، ص، 145-146).

ومع حلول الشتاء وتوقف العمليات العسكرية أذن صلاح الدين للجنود بالرجوع فعاد سنجر شاه إلى الجزيرة في السنة نفسها (586هـ/1190م)، غير أن الأوضاع لم تلبث أن توترت مجددًا سنة (587هـ/1191م)، حين نشب خلاف بين سنجر شاه وصاحب الموصل فحاصر الأخير الجزيرة بعد أن استولى محمد بن تقي الدين عمر على بعض نواحيها مستفيدًا من انشغال صلاح الدين، وقد رفض السلطان تثبيت محمد في حكم الجزيرة لصغر سنه وأسهم في عقد صلح بين الأطراف، ولا سيما بعد أن حشد جيوشه في دمشق استعدادًا لمواجهة الفرنج (ابن الأثير، 1997م، 83/12؛ ابن شداد، 1964م، ص152).

لم تكن العلاقات السياسية في جزيرة ابن عمر بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة (589هـ/1193م) مستقرة إذ بقيت الساحة السياسية تعجّ بالتنافس بين أبناء صلاح الدين من جهة، وبينهم وبين عمهم الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد من جهة أخرى (ابن واصل، 1960م، ص 102، 18)، وقد انعكس ذلك على موقع الأتابكية الصغيرة في الجزيرة وقد أتسم موقف الأمير معزّ الدين سنجر شاه بوفائه للأسرة الأيوبية، فامتنع عن تلبية طلب عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل الذي استشاره ورغب في استمالته لمساندته في استعادة بعض الممتلكات التي ضمّها صلاح الدين إلى سلطانه مدركًا ضعف موقف صاحب الموصل وعجزه عن فرض نفوذه (ابن الأثير، 1997م، 105/12، 83؛ ابن خلدون، 1992م، 336/5).

وخلال تلك المرحلة تفاقمت النزاعات بين الأمراء الأيوبيين ودخولهم في صراع مباشر مع عمهم الملك العادل، الأمر الذي دفع سنجر شاه إلى اتخاذ مواقف حذرة تضمن سلامة إمارته ففي سنة (595هـ/1198م) انضم إلى التحالف الذي شكله صاحب الموصل وصاحب سنجار لمساندة الملك الأفضل وهو علي بن صلاح الدين الأيوبي الذي كان حاكما على دمشق ضد عمه الملك العادل ويبدو أن سنجر شاه كان حريصًا على المحافظة على علاقات طيبة مع البيت الأيوبي، فانحاز إلى الملك الأفضل لقوته آنذاك وخشية أن يؤدي الوقوف ضده إلى تهديد جزيرة ابن عمر(ابن الأثير، 1997م، 12/، 148، 167؛ ابن واصل، 1960م، 102/3).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وقد استمرت العلاقات الإيجابية بين سنجر شاه والملك العادل في معظم الأحيان، إذ اتفق الطرفان سنة (600هـ/1203م) على منع نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل من السيطرة على ممتلكات صاحب سنجار، وبعد دخول سنجر شاه في طاعة الملك العادل شارك بجنده في بعض الحملات العسكرية التي أسفرت عن هزيمة قوات الموصل وإجبارها على إبرام صلح سنة (601هـ/1204م)، قضى بإعادة الممتلكات المغتصبة إلى صاحب سنجار، كما شارك سنجر شاه ضمن الجيوش الأيوبية في دعم صاحب آمِد أثناء حصاره لمدينة (خَرْبُرْت) احد الحصون في ديار بكر (ابن الأثير، 1997م، 193/12؛ سبط ابن الجوزي، 1951م، 8/ 518؛ ياقوت الحموي، 1995م، 355/2).

وبعد وفاة سنجر شاه تولى ابنه معز الدين محمود الحكم سنة (605هـ/1208م) وقد اتسمت علاقته بالملك العادل بالاستقرار على الأغلب، رغم ما شهدته من بعض التوترات نتيجة سياسة الملك العادل و رغبته في توسيع نفوذه وسعيه إلى استمالة معز الدين محمود (الحسيني، 1966م، ص136)، وفي سنة (607هـ/1210م) تدهورت العلاقة حين انضم معز الدين إلى تحالف ضم صاحب الموصل وصاحب سنجار وأربل وماردين وصاحب الروم، بهدف منازعة الملك العادل السلطة، وجعل الخطبة والسكة باسم صاحب الروم (خسرو شاه بن قلج أرسلان) غير أن هذا التحالف لم يحقّق أهدافه فعاد الأمراء إلى طاعة الملك العادل بعد وقت قصير(ابن الأثير، 1997م، 202/12، خوشناو، 2019م، ص76).

ومع وفاة أخ صلاح الدين الملك العادل سنة (615هـ/1218م) أعيد توزيع أملاكه على أبنائه، فآلت جزيرة ابن عمر إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى الذي أقام علاقة مستقرة مع معز الدين محمود (ابن شداد، 1978م، 234/3)، أما مصر فقد صارت تحت حكم الملك الكامل ناصر الدين محمد الذي كان له دور في إدارة السلطة الأيوبية في الشام والجزيرة و ارتبط هو الآخر بعلاقات جيدة بأمير الجزيرة، وظهر ذلك واضحًا عندما شارك معز الدين محمود سنة (630هـ/1232م) إلى جانب قوات الكامل في حملته نحو مدينة آمِد من اجل توسيع نفوذه في الجزيرة(سبط ابن الجوزي، 1951م، 673/8؛ الجزري، 1988م، ص122).

أما علاقة الجزيرة مع الخلافة العباسية فلم تكن مباشرة أو وثيقة وذلك بسبب الوضع السياسي للأتابكية التي لم تبلغ درجة من القوة السياسية تؤهلها لإقامة علاقات مستقلة مع الخليفة (الياس، 2018م، ص140)، وقد دخلت هذه الأتابكية في طاعة صلاح الدين منذ سنة (579هـ/1184م)، واستمرت على الولاء للأيوبيين بعد وفاته الأمر الذي جعلها تدار ميدانيا ضمن منظومة الحكم الأيوبي،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومع ذلك حافظ أمراؤها على صلة طيبة بالخلافة ويتضح ذلك من خلال نقش اسم الخليفة العباسي على السكة المتداولة في الجزيرة، فقد حملت بعض مسكوكات زمن سنجر شاه وابنه معزّ الدين محمود اسم الخليفة الناصر لدين الله ولم تخصص الخطبة أو السكة للسلاجقة رغم قربهم الجغرافي (الحسيني، 1976م، ص136؛ الياس، 2018م، ص140).

وقد شهدت هذه العلاقة تطورًا مهمًا في عهد معز الدين محمود، حين شارك بجيش الجزيرة سنة (612هـ/1215م) مع جيوش خوارزم والموصل وأربل وبلاد الشام في القتال ضد مَنْكِلِي احد القادة التركمان الذي اعتدى على ممتلكات الخليفة وقد جاءت هذه المشاركة استجابة لطلب الخليفة الناصر لدين الله، وأسفرت عن القضاء على مَنْكِلِي وإعادة الأمن إلى مناطق الخلافة، الأمر الذي عزز المكانة السياسية للأتابكية في تلك المرحلة (ابن الأثير، 1997م، ص306).

الخاتمة:

يتبيّن من خلال هذه الدراسة أن جزيرة ابن عمر كانت من المدن المهمة في شمال الجزيرة الفراتية خلال العصر الأيوبي، ولم تكن مدينة ثانوية أو هامشية بل أدت دورًا سياسيًا واضحًا في محيطها الإقليمي، وقد أسهم موقعها الجغرافي على نهر دجلة في تعزيز مكانتها وربطها بالموصل وديار بكر، وجعلها محل اهتمام القوى السياسية التي تعاقبت على المنطقة.

وأظهر البحث أنّ قيام الأتابكية في جزيرة ابن عمر ولا سيما في عهد الأمير معز الدين سنجر شاه، أسهم في استقرار أوضاعها نسبيًا إذ انتهج سياسة قائمة على الموازنة في علاقاته مع الدولة الأيوبية وأمراء الموصل والخلافة العباسية، فحافظ على كيان الإمارة رغم ما واجهته من صعوبات وصراعات سياسية متكررة.

كما تبيّن أنّ جزيرة ابن عمر تأثرت بالأحداث السياسية العامة في العراق والشام، ولا سيما بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وما أعقب ذلك من خلافات بين ورثته، الأمر الذي أدى إلى اضطراب أوضاعها السياسية، وانتهى بسقوط الحكم الأتابكي فيها وضمّها إلى سلطة الموصل بقيادة بدر الدين لؤلؤ سنة (649هـ/1251م).

وتوصلت الدراسة إلى أن الموقع الجغرافي والموارد الاقتصادية وطبيعة التركيب السكاني كانت من العوامل الرئيسة التي أثّرت في سياسة جزيرة ابن عمر الخارجية وحددت مواقفها السياسية، ويؤكد ذلك

أنّ هذه المدينة كانت عنصرًا فاعلًا في تاريخ شمال الجزيرة الفراتية خلال العصور الوسطى، وأنّ دراسة تاريخها تسهم في فهم طبيعة العلاقات السياسية بين الإمارات المحلية والدول الكبرى في تلك المرحلة.

المصادر والمراجع

[1] الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر. (1968م). مضمار الحقائق وسر الخلائق. القاهرة: دار الهنا للطباعة.

[2] ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد. (1997م). الكامل في التاريخ (تحقيق عمر عبد السلام تدمري). لبنان: دار الكتاب العربي.

[3] التاريخ الباهر في الأتابكية في الموصل. (1963م). مصر:دار الكتب الحديثة.

[4] البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر. (1987م). فتوح البلدان. بيروت: مؤسسة المعارف.

[5] البكري، عبد الله بن عبد العزيز. (1983م). معجم ما استعجم من أسماء المواقع والبلدان. (الطبعة الثالثة). بيروت:عالم الكتب.

[6] التكريتي، محمود ياسين. (1970م). (الأمارة المروانية في ديار بكر والجزيرة). رسالة منشورة. بغداد:جامعة بغداد.

[7] الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (1988م). المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان وإنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. بيروت: دار الكتاب العربي.

[8] ابن حوقل، أبو القاسم محمد. (1992م). صورة الأرض. بيروت: دار مكتبة الحياة.

[9] حتي، فيليب خوري. (1958م). تاريخ سورية ولبنان وفلسطين. بيروت: دار الثقافة.

[10] الحسيني، محمد باقر. (1966م). العملة الإسلامية في العهد الأتابكي. بغداد: دار الجاحظ.

[11] ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله. (1889م). المسالك والممالك. بيروت: دار صادر.

[12] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد. (1994م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر.

[13] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1992م). العبر وديوان المبتدأ والخبر. بغداد: دار البيان.

[14] خوشناو، سلام حسن طه. (2019م). (جزيرة ابن عمر في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين دراسة سياسية حضارية). رسالة منشورة. مكتبة عدي بن حجر الكندي مع مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية.

[15] الرويشدي، سوادي عبد محمد. (1971م). إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ(606-660هـ/1209-1961م). بغداد: مطبعة الإرشاد.
[16] سبط ابن الجوزي، أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي. (1951م). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. الهند: مطبعة المعارف العثمانية.
[17] ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم. (1964م). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. القاهرة.
[18] ابن شداد، عز الدين ابن شداد الحلبي. (1978م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
[19] الطبري، محمد بن جرير. (1970م). تاريخ الرسل والملوك. مصر: دار المعارف.
[20] ابن العبري، غريغوريوس بن هارون الملطي. (1997م). تاريخ مختصر الدول. بيروت: دار الكتب العلمية.
[21] أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن عماد. (1998م). المختصر في أخبار البشر. القاهرة: دار المعارف.
[22] ابن الفوطي، كمال الدين بن عبد الرزاق بن تاج الدين احمد. (1963-1965م). تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. (تحقيق مصطفى جواد). دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
[23] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1998م). البداية والنهاية. (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي). مصر: دار هجر.
[24] . كحاله، عمر رضا. (1997م). معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. بيروت: مؤسسة الرسالة.
[25] الياس، دخيل اسود. (2018م). (العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والدويلات الإسلامية في الشام والجزيرة من سنة (555هـ/1160م-615هـ/1218م)). رسالة منشورة. مشروع حفظ التراث العلمي العراقي.
[26] المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد. (1991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. (الطبعة الثالثة). القاهرة: مكتبة مدبولي.
[27] ابن واصل، محمد بن سالم. (1960م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. القاهرة: دار القلم.
[28] اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر. (2010م). تاريخ اليعقوبي. بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات.

[29] ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (1995م). معجم البلدان (الطبعة الثانية). بيروت: دار صادر.

[30] اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي. (1970م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوداث الزمان وتقلب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشهورين من الأعيان. بيروت.